أخبار الخَلق في القرآن الكريم – خلق الأرض والإنسان

مصدق موفق عبد المطلب أبو الهوى
مدرس مساعد ـ معلم جامعي في مديرية تربية واسط
cmcvv162@gmail.com

News of creation in the Holy Qur'an - the creation of the earth and man

MUSADAQ MUWAFAQ ABDULMUTALEB ABU ALHAWA
Assistant Lecturer – University Teacher in Wasit Education Director

الملخص:ـ

تناول البحث أخبار الخلق كما جاء في القرآن الكريم والتي تم التعرف عليها من خلال تفسير الآيات القرآنية التي لها صلة بالموضوع حيث أن الآيات الكريمة بينت أن العالم حادث وهو مخلوق وأن كل مخلوق له هيئته الخاصة من حيث خلقته وطريقة وجوده، حسب ما بينتها الآيات الشريفة، وقد بينت الدراسة بعض تلك المخلوقات كخلق الأرض وفق التعريف القرآني لها وكيفية فتقها ورتقها، وملاءمة ذلك مع الحقائق العلمية التي أكدت على عظمة القرآن وإعجازه العلمي إضافة إلى خلق الإنسان وأطواره التي أثبت العلم حقيقتها، باعتبار أن القرآن الكريم هو كلام الخالق وهو أخبر من أي أحد عن حقيقة الإنسان، وقد بينت الآيات الشريفة أن خلق الإنسان هو اختصار لقدرة الله تعالى وأن كل ما في الوجود مسخر له، لذلك تنبع أهمية البحث من التعرف على الخلق ومراحله كما بينتها الآيات الشريفة وتأكيد العلم لهذا الإخبار، وقد اتبع في ذلك المنهج الوصفي التحليلي حيث تم توصيف مراحل الخلق كما بينتها التفاسير القرآنية وتحليل ذلك وعلاقته بالحقائق العلمية، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها أن الخلق كما بينه القرآن الكريم هو المعجز في إخباره وحقيقته وأن كلم الله تعالى هو الحقيقة المطلقة كما ثبت ذلك عند المفسرين والعلماء وأكدته الحقائق العملية.

الكلمات المفتاحية: الخلق، القران الكريم، الإنسان.

Abstract:-

The research dealt with the news of creation as mentioned in the Holy Qur'an, which was identified through the interpretation of the Qur'anic verses that are relevant to the subject, as the noble verses made it clear that the world is an event and is a creation, and that every creature has its own form in terms of its creation and the way of its existence, according to what the noble verses have made clear, The study showed some of these creatures, such as the creation of the Earth according to the Qur'anic definition of it and how it was divided and joined, and the compatibility of that with the scientific facts that confirmed the greatness of the Qur'an and its scientific miracle, in addition to the creation of man and his stages, the truth of which science has proven, given that the Holy Qur'an is the word of the Creator and it is more eloquent than anyone else. About the truth of man, and the noble verses have made it clear that the creation of man is a summary of the power of God Almighty and that everything in existence is subservient to him. Therefore, the importance of the research stems from identifying creation and its stages as indicated by the noble verses and science confirming this information. The descriptive and analytical approach was followed in that, where The stages of creation as explained by the Qur'anic interpretations were described and analysed, and its relationship to scientific facts. The study reached the most important results, the most important of which is that creation as explained by the Holy Qur'an is miraculous in its information and reality, and that the word of God Almighty is the absolute truth, as proven by commentators and scholars and confirmed by practical facts.

Keywords: creation, the Holy Qur'an, human.

المقدمة:

إن القرآن الكريم قام بالعرض للبدايات التي تم الخلق بها للأرض وللإنسان، والمراحل التي قد مرا بها في خلقهما، حيث قام بالتصوير لكل طور من الأطوار التي مر بها الخلق لهما بشكل واضح وجلي دون أي لبس أو غموض بها. فالآيات القرآنية التي تتحدث عن الخلق للأرض وللإنسان، وما بهما من التضعيف في المكونات للمخلوقات والمتعددة والتي تسترعي الانتباه منا، وتدعوا لان يكون هناك تأمل وتفكر في الخلق لهما، حتى يكون هناك تعرف على عظمة الخلق لها والأسرار التي تنطوي عليها في الخلق لها وعجائب التكوين، وعليه يكون هناك توقف للعظمة للخالق ذاته، وروعة الإبداع في صنيعه وخلقه، فيقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، فهذه الآيات الكريمة وغيرها من الآيات الأخرى نجد فيها أمر لنا بالاستخدام لمداركنا والوسائل العديدة للنظر المعتبر بها والتي هي المداد لمداركنا، وما قد منحنا له الله تعالى من المستجدات للتقنيات العلمية حتى نتعرف على قضية الخلق للأرض وللإنسان، والمراحل التي يمر بها وكيفية البدء في الخلق لهما، فالسبيل لها هو قول الله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا﴾، حيث أنه من خلال النظر والتدبر والتأمل والاستدلال يتيسر التوصل والكشف عن هذه الحقائق.

مشكلة البحث:

إن الخلق وبداياته ليس قضية غامضة أو هلامية كما يقوم بالتصوير لها الفكر الغربي بشكل مادي حديث والذي يحدث فيه تيه داخل شعاب التجارب والنظريات المختلفة المتناقضة في أحيان عديدة، فنجد العلماء في الغرب والفيزيائيون في حيرة كبيرة لتحديد لمسألة الخلق للأرض والنشأة لها وخلق الإنسان بل وصلت بهم هذه الحيرة للوصول لحد الإلحاد في تصورات عامه وشائعة حتى الآن وهي واضحة بين العاملين في العلوم الطبيعية، حيث أنهم يرون الواقع سوى من خلال المادة وانه لابد أن تكون الحقائق جميعها مادية وان الكون والأرض قد كونوا انفسهم، وهم في غنى أن أي شيء خارجي لها، لهذا فإن هذا البحث يقوم للبيان لخلق الله تعالى والتأكيد عليه للإنسان وللأرض من خلال آياته تعالى الكريمة في الكتاب العزيز.

أسئلة البحث:

السؤال الرئيسي: ما هي الاخبار للخلق من خلال آيات القرآن الكريم للأرض وللإنسان؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما هي المراحل التي مرت بها الأرض حين خلقت؟
٢. ما هي مرحلة الرتق والفتق للأرض؟
٣. هل مرت الأرض بمرحلة استقرار وتشكيل؟
٤. ما هي الحقائق العلمية التي تشير لمرحلة دحي الأرض؟
٥. ما هي مراحل خلق الإنسان؟
٦. هل أشار القرآن الكريم للمواد التي خلق منها الإنسان؟

أهمية البحث:

إن الناس في كل وقت وفي كل مكان نجدهم في اشتياق للتعرف على الكيفية التي تم بها الخلق للأرض وللإنسان، حيث نجد العديد من التساؤلات عن الكيفية وعن الوقت، ويتلهفون للتعرف على توقيت محدد وواضح عن بداية الخلق للإنسان وللأرض من قبله وما جاء من بعدهم، فهم يريدون دائما أن يتعرفوا على الترتيب بالتعيين والتحديد له، حيث قد شغلت هذه المسالة كثيراً الصحابة من قبل فكانوا يتسألون عنها ويسألون الرسول الكريم ﷺ، بل كان يأتي العديد من الوفود من أماكن بعيدة له بدافع حب الاستطلاع عن الخلق للأرض وللإنسان، حيث نجد أن القرآن الكريم قد كرر ذكر الخلق للأرض وللإنسان في آياته الكريمة للإجابة عن هذه التساؤلات العديدة، فكان لزاماً علينا العمل على توضيحها لما لهذا الموضوع من أهمية كبيرة.

أهداف البحث:

ويمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط التالي:

١- التعرف على حقيقة الخلق في القرآن الكريم.

٢- بيان مراحل الخلق للأرض.

٣-التعرف على مرحلة الدحي للأرض بعد الفتئ لها.

٤- إظهار المواد التي تكون منها الإنسان والخلق له والمراحل التي مر بها الإنسان حتى أصبح يسمع ويرى.

المبحث الأول

أخبار خلق الأرض

المطلب الأول: مرحلة الرتق والفتق (الانفجار الكبير) للأرض في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣] ، فيتضح لنا من خلال الآية الكريمة السابقة والتي قد استرعت الانتباه للعباد جميعاً أنها تعمل على التحريض لباعث لهم الذي يقوم بالتوليد للتشوق للتعرف، ويضع الإنسان في ساحة من التفكير وحب الاستطلاع، والرغبة في التعرف والبحث والعمل على التنقيب للتوصل للسر في الانتقال داخل الكونيات العظيمة والتي كانت في حالة فناء ومن عالم اللاشيء، وصولاً لطور التخلق والقرار، ثم بث الحياة فيها، ثم الانبلاج من تلفيف العدم حتى حيز الوجود والإدراكات، حتى تطلب من الإنسان أن يسخر ما قد أتاه من القوة العقلية والعلمية والمادية للتعرف على المادة الحقيقية التي تكون منها الكون جميعه[٤]. ونجد أن الناس قد اختلفوا بينهم هل كان هناك خلق قبل الأرض، فذهب العديد من المتكلمين لأنه لم يكن هناك شيء قبلها، وكان الخلق لها من العدم، وهناك آخرون قالوا بأنه كان هناك مخلوقات من قبل خلق الأرض[٥]، واستدلوا على قولهم هذا من القرآن والسنة:

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[٦]

وقد قال عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: " كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض"[٧]، روى في الكافي:" كان كل شيء ماء، وكان عرشه على الماء، فامر الله تعالى الماء فاضطرم نارا، ثم امر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق الله السموات من ذلك الدخان، وخلق الارض من الرماد"[٨]، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن الصباح، قالا: حدثنا يزيد

بن هارون، أنبأنا حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حدس، عن عمه أبي رزين رضي الله عنه قال: قلت:" يا رسول الله! أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وما ثم خلق، عرشه على الماء"[٩]، وكانوا في اختلاف جميعاً على أيها خلق أولاً، فاجتمعوا على أن القلم قبل جميع هذه الأشياء. وتشير الآية الكريمة التالية، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، لكل من السموات والأرض وهو الكون كله وما فيه من النجوم والمجرات والكواكب وغيرها، فجميعها مادة واحدة وكانت كتلة واحدة ثم حدث انشطار لها وفتقت وحدث لها انفجار فحدث الانفصال للأرض عن السماوات، فتباعدت هذه الأجزاء عن بعضها وتكون هذا العالم العظيم المترامي، البعيد في مداه الواسع في رحابه، فيقول الله تعالى: كانتا رتقا ففتقناهما"، وهو من التعابير الدقيقة الجلية لهذا المشهد الضخم الرائع الذي يأخذ ألباب العباد وعواطفهم، لأنه قد صور هذا المشهد العظيم وهذه اللقطة الكبيرة في هذا الكون وقت الانفصال وخلق الأرض.

إن هؤلاء الكفار لم يقوموا بالنظر لهذا الكون الفسيح بقلوبهم ليروا بها ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقاً، فليس بهما ثقب بل كانا بهما اتصال شديد، فيقال رتق هذا الفتق أي قام بشده، فهو يرتق له رتقاً، وقيل عن المرأة التي التحم فرجها أنها رتقاء، وهي من صفة الأرض، وبعد قول الله تعالى " كانتا"، فهو مصدر، مثل القول للزور والفطر، وقوله تعالى: "ففتقناهما"، أي قد جعلنا بها صدعاً ففرجناهما عن بعضهما، ونجد اختلاف من المؤولين في المعنى لوصف الله تعالى للأرض بالرتق وكيف كان هذا وما هو المعنى في الفتق، فيقول ابن عباس: أنهما كانتا في التصاق فقام الله تعالى بالرفع للسماء وقام بوضع الأرض، وقال آخرون: المعنى أن السموات كانت مرتتقة في طبقة فقام الله بفتقها فجعلها سبع سموات وكانت الأرض مرتتقة ففتقها الله فجعلها سبع أرضين[١٠].

لأن معنى الرتق في قوله تعالى " رتقا"، أنه هنا لم يقل رتقين لأنها مصدر والمعنى فيها كانتا ذواتى رتق، ومعنى الرتق أنها ضد كلمة الفتق، فيقال لقد قمت برتق الفتق أي ارتقته فارتتق فالتم، أي أنهما كانتا شيء واحد فانفصلت من عند الله تعالى بالهواء، فقد خلق الله تعالى الرض والسماء على بعضهما ثم جعل ريحا قد خلقها بواسطة فتحة فيهما فجعل الأرض سبعاً؟

ويمكن القول في النهاية من خلال الآية القرآنية عن المرحلة التي فيها الخلق للأرض:

١. أن الأرض والسماء في بداية الخلق ولحظته كتلة واحدة متلاصقة معاً ثم انفصلت عن بعضها مكونة الأرض والسماء.

٢. أن الطبيعة للمادة التي قد تشكل منها هذا الكون والأرض عبارة عن دخان.

المطلب الثاني: مرحلة الاستقرار والتشكيل للأرض:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[١١]. فنجد أن الآية الأولى تحدثت عن المادة وطبيعتها التي تكونت منها الأرض وماهيتها، ولكن هذه الآية الكريمة تشير لأطوار الخلق للأرض والمراحل التي قد مرت بها بعد موضوع الانفصال عن السماء في مادتها الأولية، فالآية الكريمة تقوم بالتقرير لبعض من الحقائق الكونية الموجودة والتي لا تتغير، أن الأرض بعد حدوث الفتق والرتق لها قد خلقت في البداية، ثم من بعدها تشكلت السماء من الدخان، وقد ذهب لهذا المفسرين، ونجد ممن قد قدموا مرحلة الخلق للسماء على الأرض ولكنهم قد وقعوا في خلط واضح وخطأ كبير، وهذا لأنهم كانوا يريدون الصاق النص القرآني للتخمينات النظرية التي اتضحت من خلال المفكرين من الفلك، من كون السماء قد تم خلقها قبل الأرض، وهو كلام ليس له أي أدلة من النصوص القرآنية ولا من أي من المعطيات العلمية التي تعتبر ثابتة[١٢].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، أي قد خلقها في مقدار عدده يومين أو نوبتين، وفي كل نوبة قد خلق فيها أسرع ما يكون، ولعل القصد من قوله تعالى " الأرض"، ما في الجهة السفلية من الأجرام وفي الخلق لها " في يومين"، بان قد جعل لها خلق مشترك، ثم جعل لها صور صارت بها العديد من الأنواع، " ثم استوى إلى السماء"، أي قد قصد نحوها. يشير لان الكلام في الآية على التقديم والتأخير وأن الأصل فيها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، وهو بعيد عن القيل والقال، وهو على خلاف الظاهر فيه، أو يكون على كون واحد على

اتجاه معين في وقت كان له مقدار لكل منهما، والمراد هنا هو الإيجاد لذاتهما والإتيان لها، فالأمر هنا هو للتكوين على أنه تعالى قد خلق وقدر بالمعنى الذي فيه إرشاد للعقل، وهو عبارة عن شروع في الكيفية التي يكون بها التكوين وكيفيته والتقدير له، ونجد أن التخصيص للبيان للأرض وما عليها لما فيه من الاعتناء منه تعالى بأمر من يخاطبهم والترتيب للمبادئ في معايشهم قبل أن يخلقوا مما يجعلهم محمولين بالإيمان، ويكون فيه زجر منه تعالى عن الكفر، وجعل الخاصية للاستواء للسماء والتقدير فيها في قوله فقيل لها وللأرض التي قد قدر في وجودها والوجود لما فيها كون واحد(١٣).

ويمكن أن نصل للخلاصة مما سبق في التالي:

١- أن الأرض قد خلقت بعد الفتق لها من الكتلة الدخانية وهذا في خلال يومين، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

٢- ثم العمل على التدبير للأرض والتهيئة فيها والتسخير للمعايش للمخلوقات عليها في يومين، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا﴾، وهي الجبال التي تجعل الأرض في توازن واستقرار، ثم بارك تعالى فيها، فكان الخير فيها في زيادة والزرع والمياه وغيرها من الأقوات والأسباب التي تساعد على المعايش. فالقصد من الأيام في الآية هي المراحل التي يمر بها من الحقب الزمانية وليست الأيام التي تعرف لدينا كما هو مشار لها من خلال العديد من المفسرين، ولأن الزمن يعتبر من الأشياء النسبية كما علم، فاليوم في الأرض ليس كاليوم بالشمس ولا بالمجرة ولا غيرها.

المطلب الثالث: مرحلة دحو الأرض في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾(١٤).

فهذه تعتبر المرحلة الثالثة في مراحل خلق الأرض حسب التصوير القرآني لها، فكان الأولى مرحلة الانفجار للكتلة الدخانية والرتق والفتق فيها، ثم المرحلة التي تم الخلق فيها للأرض والتشكيل فيها، والمرحلة الثالثة دحي الأرض(١٥). وقد نجد أن في المرحلة الثانية قد أشار الله تعالى في الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً

لِلسَّائِلِينَ﴾[١٦]،أي أن الأرض قد تم الخلق لها قبل السماء ولكن في الآية الحالية من سورة النازعات فنجد أن الدحي للأرض جاء بعد الدحي للسماء، فكيف يكون هذا فأيهما خلق أولا، والجواب هنا سهل، فقد عرض هذا السؤال من قبل علي ابن عباس، حيث جاء رجل وقال: إني لأجد في القرآن أشياء مختلفة عليَّ، قال تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾، فكان في ذكر في هذه لأن الأرض خلقت قبل السماء وفي الثانية الخلق للسماء قبلها، فقال ابن عباس: أن الأرض خلقت في يومين ثم خلقت السماء ثم استوى لسماء فسواها في يومين ثم دحى الأرض بأن قام بإخراج الماء والمرعى منها والجبال والرمال والجماد والآكام في يومين، فقد قال تعالى فيها " دحاها"، وقال تعالى: " خلق الأرض في يومين"، فالخلق للأرض بجل ما فيها كان في أربعة أيام، والخلق للسماء في يومين، فلا يوجد أي اختلاف في القرآن الكريم فكله من عنده تعالى[١٧].

فكان على هذا النسق كان المفسرون سائرون في تفسيرهم وتوضيحهم، فقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾[١٨]، والآية السابقة كذلك فيهما دلالة على أن الخلق للأرض وما فيها وعليه الكثير من المفسرين ونرى ان العرش العظيم كان قبل الخلق للسموات والأرض كما روي على الماء، فأحدث الله تعالى لهذا الماء اضطراب فأصبح هناك دخان يصدر منها وكان بزبد، أما الزبد استقر على وجه الماء وارتفع الدخان، فخلق اليابس وجعلت الأرض واحدة، ثم فتقت من عنده تعالى فأصبحت أرضين وهو من الزبد، ولكن الدخان ارتفع للأعلى مكون السماء، وقيل أن الخلق للأرض كان مقدم عن السماء، لكن الدحو لها والخلق لما فيها كان مؤخر عن السماء، فقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾، وقد روي عن الحسن أن الله تعالى قد خلق الأرض من موضعها عند بيت المقدس كهيئة الفهر به دخان ثم امسك الفهر في موضعه، وبسط منها الأرض، وهذا في قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾. فقوله عندما خلق الأرض قبل الخلق للسماء ثم الذكر لها قبل الأرض هذا لأن الخلق للأرض جميعها بأقواتها من عير الدحو لها كان قبل السماء ثم استوى للسماء فسواها ثم دحا الأرض، فقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾. أن الخلق للأرض كان قبل الخلق للسماء كما جاء في قوله تعالى، ولكن قد دحيت الأرض بعد الدحي للسماء والخلق لها، حيث أخرج ما كان فيها بفعل القوة.

إن الله تعالى قد خلق الدخان للسماء في البداية ثم قد خلق الأرض، ثم قد استوى للسماء وهي دخان فقد سواها ثم دحا الأرض بعدها، والدليل على الخلق للدخان في البداية قبل الأرض ما قد روي عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب الرسول ﷺ، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، فقال أن عرش الله تعالى كان على الماء ولم يكن هناك شيء مخلوق قبل الماس، فلما كان له مراد في الخلق للخلق أخرج من الماء دخان فارتفع في السماء فسماه سماء لارتفاعه عالياً، ثم أيبس الماء وجعل منه ارض واحدة ثم قد فتقها لسبع أرضين في يومين. هذه هي المراحل من الخلق حسب ما جاء في القرآن الكريم والدلائل منه، فالتفصيل لهذه المراحل هو شيء عسير على العلم بل هو من المستحيلات لأنه يعتبر من الغيبيات فيستحيل الوصول لها ولا تخضع لمدركات البشر، ولكن قد يقوم العلم بالإقرار للمدركات العلمية الثابتة عن الكون ولكن ليس بهذه الدقة التي فصلت من جانب القرآن الكريم(١٩).

المبحث الثاني

أخبار خلق الإنسان

المطلب الأول: مادة خلق الإنسان ومرحلة التخلق له.

إن الآيات الكريمة التي تتعلق بالخلق لسيدنا آدم نجدها متناولة لهذه المسألة من حيث القر، ومن جانب المراحل التي تتعلق بالخلق له، فنجد أن المراحل التي يمر بها الجنين وهو رحم امه قد ذكرة في القرآن الكريم وهي مرحلة لكل إنسان يمر بها، وهذا بعد سيدنا آدم عليه السلام، فبعد أن تقوم البيضة بالتلقيح للبويضة في الأنثى حتى تصل لمرحلة التخلق ليكون إنسان كامل، وفي بعض الأحيان نجد القرآن يتناول الخلق الأولي للإنسان من جانب السرح للتطور للجنين، ونجد يتناول كلا منها على حدة، فمن الجانب المادي كان المادة الأولى للخلق للإنسان وهو التراب ثم للناس من بعده، ثم من طين رخو ملتصق، ثم من سلالة مصفاة من نوعية هذا الطين، ثم من حمأ مسنون، وهو الطين الأسود المهيأ للتفسخ حتى يكون متحول لهيكل الإنسان، والذي قد رسم طريقه بهدف محدد ثم من الطين المفخر وهو الصلصال(٢٠).

فنجد أن هذه المواد هي التي تومئ بها لمراحل التكوين للإنسان، والمراحل التي يعيش الجنين فيها في رحم أمه تكون متشابهة مع هذه المراحل، ولا يهم هل كان عددها ستة أو

أربعة، لأنه قد يكون هذه المراحل يمكن الإرجاع منها لبعضها البعض عند العرض لها والتعرف عليها، ولكن الأهم أن الحساء التراب والمواد الأولية هو من الأشكال الأساسية في خلق الإنسان ومراحله، ونجد أن الماء له دور هام هنا في التحويل لهذا التراب لحساء معادن أو بروتيني، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[٢١]، ويقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢٢]، ففيه إشارة لأهمية الماء هنا، ويظهر لنا أن التشكيل والاندماج للتراب مع الماء هو مرحلة أخرى مختلفة.

ثم بعد المرحلة التي يمر بها الإنسان في التشكيل له والإعطاء له صورة محددة، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[٢٣]، ثم تأتي بعدها التسوية، وهو الوضع له في توازن كامل في هياته فيقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢٤]. ونجد في هذه المرحلة الأخيرة يظهر الإنسان في الكون كموجود ومخلوق جديد يمتلك مع هذه المادة روح بشكل ممتزج معها ومتداخل، فهو مخلوق جديد يملك مع هذا البدن المتناسق عمق روحي، وحتى يكون الإنسان قد وصل لهذه المرحلة وهذا المستوى فقد مر بمجموعة من المراحل وهي: "تراب فطين، فسلالة من طين فطين لازم فحمأ مسنون، فصلصال"، ثم قام الله تعالى بتشريفه بالنفخ للروح له وجعله من خلقه وكرمه ثم جعله من المخلوقات الشريفة بل أشرفها على الأرض[٢٥]. إن مغامرة الإنسان لمجيئه للأرض والتشريف فيها والتي قد بدأت بالخلق له بشكل معجز بداية من سيدنا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، أصبحت لنا كأنها من الأمور البديهية، حتى يكون هناك ستار للأفعال والشؤون الإلهية، وستظل على هذا الحال.

والغاية من الاستمرار للحياة على الأرض والتي قد خلقها تعالى والتي نجد الإنسان في رغبة للاستمرار بها وهي المعرفة له تعالى جل علاه والعبودية له، فالله سبحانه هو الذي قد خلق الإرادة ووهبها لنا والشعور والعقل والقلب وجعله مفضل على خلق كثير، حيث نجد إرادته تعالة في جعل آدم محراب، لهذا لابد أن يكون ا لإنسان عالم بهذه المشيئة الإلهية، أنه لابد أن يقوم بالمعرفة لخالقة والتعريف عنه للآخرين والحب له والتحبيب فيه حتى يكون موفي بجزء من الشكر الذي يجب عليه تجاه جعله في تقويم حسن.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية التي تدل على خلق الإنسان.

الآيات التي تتعلق بالخلق للإنسان:

أولاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[٢٦]. فالله سبحانه وتعالى قام بالخلق لآم من تراب ثم من طين والذي بدأ بالتعفن فأعطى له شكل محدد: " حما مسنون"، فقام بالتيبيس لهذا الحمأ المسنون فأصبح صلصال، لأن الإنسان قد خلق من هذا الصلصال الذي أعطى له شكل محدد، ونفخ فيه الروح بعد ذلك، ففي هذه الآبية الكريمة بين أن آدم قد خلق من التراب من الأرض، فكأنه تكون من عناصر الأرض جميعها، وقد يكون المقصد من الحمأ المسنون هو حساء البروتين أو المعجون به.

ثانياً: قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢٧].

فعندما بدأ الناس يشكون في الخلق لعيسى عليه السلام عند ولادته بدون أب، نجد القرآن الكريم يوضح هذا الأمر لهم، فكانت نافذة مختلفة لموضوع الخلق للإنسان، أي انه الولادة للنبي عيس لم تكون متحققة للمجيء له للدنيا بطريقة عادية وهي حسب القوانين العادية للميلاد للإنسان، بل كان بمعجزة فخلق بدون أب، وهذا لابد من أن يكون من الأمور التي تؤدي للدهشة، لان سيدنا آدم جاء كذلك بمعجزة، حيث انه لم يكن له أم، وعليه فنجد أن الله تعالى يقوم بالفعل لكل ما يشاء له وقتما شاء، وهو القادر على كل شيء، ولكن حتى نتفهم لهذه الإجراءات لاستدامة الحياة في الدنيا فجل لهذه الإجراءات قوانين وأسباب[٢٨]، بدأت الحوادث تكون مطردة بشكل ظاهري كأنها على نسق واحد من الاطراد لها، ولو كان العكس ما كانت الحياة، ولكنه يقوم بالحكم منه تعالى ولأسباب معينة بخرق هذه الاطراد، وهو ما نطلق عليه المعجزة الإلهية منه تعالى، وكان عليه عيس وآدم من هذه المعجزات، لأنها لم يرتبط بمرحلة محددة أو قانون معين.

ثالثاً: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٢٩]. فنجد القرآن الكريم يذكر لنا في هذا الموضوع والذي ذكر في العديد من المواضع مع التقديم والتأخير في بعضها وفي الكلمات: حيث قال أنه تعالى قال لآدم وزوجه أن يسكنا الجنة ويتخذا منها مسكن ويتمتعا بما فيها من النعم. ولكن نجد التطور المحقق عندما قام القرآن الكريم بالتناول لظهور الإنسان

في البداية بالحديث عن "آدم وحواء" عليهما السلام، ولو تم التسليم لما قاله التطورين لما قد أهمل القرآن للإشارة لها بشكل مطلق لما له من الأهمية الكبيرة في نظرة الوجود وبالأخص من الزاوية المتعلقة بالأحياء، ولو كان هذا التطور مثلما اعتقد البعض هو الأسلوب في الخلق لدى الله تعالى وستار للإجراءات التي يقوم بها تعالى في الحلق للحياة لكان هناك آيات متناولة لها بشكل متكرر وبكثرة وأشارت له، بينما نجد أن القرآن الكريم بدأ موضوع الإنسان من آدم وهواء بشكل مباشر، دون الإشارة لأي تطور[٣٠]. ويقول البعض أن الآية الأولى من سورة الإنسان في كلمة الدهر بها تشير للتطور وهي قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[٣١]، بينما هذه الآية تشكل طريق معاكس للتطور لأنها أشارت أن هناك وقت طويل مر دون وجود أي إنسان.

رابعاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣٢].

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الناس جميعهم يرجعون لنفس واحدة، ويرفض الرجوع لهم لسلسة من الآباء، ويجب أن يكون هناك تعبير للنفس الواحدة وتقويم له والتي خلق منها زوجها حسب الحقيقة التي وردت في الآيات الكريمة، حول الخلق لكل شيء من زوجين اثنين، فليس النفس الواحدة ولا زوجها هي التي خلقت بهذه الماهية الإنسانية ذاتها حلقة من حلقات التسلسل، فهو أب لنوعية ما وزوجة أم للنوع ذاته[٣٣].

بعض الآيات القرآنية حول الخلق:

١- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾[٣٤]

٢- ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[٣٥].

٣- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٦].

٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٣٧].

٥- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر: ١١).

٦- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢).

٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (٣٨).

٨- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٣٩).

٩- ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (٤٠).

الخاتمة:ـ

إن جميع الآيات التي أشار لها القرآن الكريم في إشارة للخلق وبدايته لكل من الأرض والإنسان والمادة التي قد تكونا منها، حيث أن الأرض هي جزء من الكون، وعندما خلقها الله تعالى كانت قبل الأرض وهي عبارة عن كتلة مع السماء فأصبحت رتقاً، حيث سويت الأرض قبل السماء ثم دحيت من بعدها، وأشارت الآيات الكريمة لخلق آدم والمراحل التي تكونت منها الأجنة في بطن الأم، والخلق لكل من آدم وعيسى عليهما السلام بدون أم أو أب لهما، وهو من المعجزات الإلهية له تعالى.

وعليه فقد توصلت لبعض من النتائج الهامة في نهاية هذا البحث وهي كالتالي:

١. أن الأرض خلقت قبل السماء.

٢. أن الأرض دحيت بعد السماء حيث كان الخلق للأرض ثم للسماء ثم دحيت الأرض بعد ذلك بما عليها.

٣. أن الأرض والسماء عند خلقهما كان من دخان من الماء فارتفع الدخان في السماء أصبح السموات، ثم استقر الزبد على الماء فتيبس وأصبح الأرضين.

هوامش البحث

(١) سورة العنكبوت، الآية:١٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية:٣٠.
(٤) محسن محمد باقر صالح القزويني، بداية الكون بين العلم وروايات اهل البيت عليهم السلام، مجلة أهل البيت عليهم السلام، ع٤، ص١٠-١١.
(٥) ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٧٧٣
(٦) سورة هود، الآية ٧.
(٧) رواه البخاري، حديث رقم: ٣١٩١.
(٨) الكافي: ٦٥/٢ح٨٦.
(٩) تخريج المسند لشعيب، الصفحة أو الرقم: ١٦١٨٨، (اسناده ضعيف).
(١٠) الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب: الفروع من الكافي، دار الكتب الاسلامية، إيران، ١٣٥٠ هـ.ش.
(١١) سورة فصلت الآية: ٩-١١.
(١٢) القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، ط١، دار الحجة إيران قم، ص٢٤٣.
(١٣) التستري: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، دار أمير كبير، ط. طهران، ١٤١٨ هـ.ق، ص١٢٣.
(١٤) سورة النازعات، الآية: ٣٠-٣٢.
(١٥) مروان وحيد شعبان، ٢٠١٤، مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، رابطة العالم الإسلامي، الأردن، ع٤٨، ص٣٩.
(١٦) سورة فصلت، الآية: ٩-١٠.
(١٧) الجوهري اسماعيل بن حماد: الصحاح، ط ع، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٩٦.
(١٨) سورة البقرة، الآية: ٢٩.
(١٩) إسحاق عظيموف، ١٩٩٤، الشموس المتفجرة، ترجمة: سيد عطا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص١٣٢.
(٢٠) محمد فتح الله كولن، ٢٠١١، حقيقة الخلق ونظرية التطور، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط٥، ص١١٥.
(٢١) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.
(٢٢) سورة الأنبياء الآية، ٣٠.
(٢٣) سورة الحجر، ٢٦.
(٢٤) سور الحجر الآية: ٢٩.
(٢٥) المجلسي (محمد باقر) بحار الأنوار: المكتبة الإسلامية، ط٢، طهران، ١٣٩٤ هـ.ق.، الصفحة ١٧٥.
(٢٦) سورة الحجر، الآية: ٢٨-٢٩.
(٢٧) (آل عمران: ٥٩).
(٢٨) علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت لبنان، الصفحة ٣٢١.

(٢٩) سورة البقرة، الآية:٣٥.
(٣٠) محمد فتح الله كولن، ٢٠١١، حقيقة الخلق ونظرية التطور، ص٤٣.
(٣١) سورة الإنسان، الآية:١.
(٣٢) سورة الإنسان، الآية:١.
(٣٣) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٤ - الصفحة ١٦٩
(٣٤) (المؤمنون: ١٢)
(٣٥) (الأنبياء: ٣٠)
(٣٦) (ص: ٧١-٧٤).
(٣٧) (الفرقان: ٥٤).
(٣٨) (الأنعام: ٩٨).
(٣٩) (السجدة: ٧-٩).
(٤٠) (الرحمن: ١٤).

قائمة المصادر والمراجع

المراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- إسحاق عظيموف، ١٩٩٤، الشموس المتفجرة، ترجمة: سيد عطا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.
٣- التستري: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، دار أمير كبير، ط. طهران، ١٤١٨ هـ.ق.
٤- الجوهري إسماعيل بن حماد: الصحاح، ط ع، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
٥- القمي، علي بن إبراهيم: تفسير القمي، ط١، دار الحجة إيران قم.
٦- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب: الفروع من الكافي، دار الكتب الاسلامية، إيران، ١٣٥٠ هـ.ش.
٧- المجلسي (محمد باقر) بحار الأنوار: المكتبة الإسلامية، ط٢، طهران، ١٣٩٤ هـ.ق.
٨- علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت لبنان.
٩- محسن محمد باقر صالح القزويني، بداية الكون بين العلم وروايات اهل البيت عليهم السلام ، مجلة أهل البيت عليهم السلام ، ع٤.
١٠- محمد فتح الله كولن، ٢٠١١، حقيقة الخلق ونظرية التطور، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط٥.
١١- مروان وحيد شعبان، ٢٠١٤، مراحل خلق الكون بين العلم والقرآن، رابطة العالم الإسلامي، الأردن، ع٤٨.
١٢- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ١ - الصفحة ٧٧٣.